مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية
الموقع الإلكتروني https://uqu.edu.sa/jill
جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

دور السنة النبوية في تعزيز الإصلاح المجتمعي

Role of Prophet’s Sunnah in promoting societal reform

محمد عزيز العازمي، محمد زايد العتيبي
أستاذ مشارك، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، دولة الكويت

Mohammad A Al-Azmi
Mohammed Z Al Otaibi
Associate Professor, Department of Tafsir and Hadith, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Kuwait University, State of Kuwait

تاريخ التقديم:2024/04/02: تاريخ ارسال التعديلات: 2024/06/04 تاريخ القبول:2024/06/10

Received:02/04/2024 Revised:04/06/2024 Accepted: 10/06/2024

الملخص:

فكرة البحث الرئيسية: تدور فكرة البحث حول سبعة محاور رئيسية لأجل الارتقاء بالمجتمع عبر تفعيل الإصلاح المجتمعي، وبيان دور «السنة النبوية» وتعزيزها لهذا البرنامج الإصلاحي. أهمية البحث: إبراز الدور الريادي الذي تقوم به «السنة النبوية»، في إصلاح المجتمع، من خلال تقديم الخير والنفع لأفراد المجتمع. وتتمثل إشكالية البحث: ما دور «السنة النبوية» في تعزيز المكانة الدولية المتميزة، واستثمار رأس المال البشري، وتنمية الإدارة الحكومية الفاعلة، وإنشاء البنية التحتية، وعناية وتطوير الرعاية الصحية، وكيفية الحفاظ على البيئة، وتنمية الاقتصاد المتنوع؟ ويهدف البحث: إلى توضيح المعاني اللغوية والاصطلاحية للإصلاح المجتمعي، وبيان دور السنة في تعزيز المكانة الدولية، وطريقة استثمار رأس المال البشري، وطرق تنمية الإدارات الحكومية، والبنية التحتية، والرعاية الصحية، ووسائل الحفاظ على البيئة، وتنمية الاقتصاد المتنوع. وقد اقتضت طبيعة البحث أن أسلك المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي. ومن أبرز النتائج التي توصل الباحث: دور «السنة النبوية» في بناء وتعزيز الإصلاح المجتمعي، وحيازتها قصب السبق في تعزيز الرؤى المستجدة في بناء الدول والخطط الاستراتيجية، وما يتعلق بها من مجالات استراتيجية، ودبلوماسية، وثقافية، واقتصادية، وصحية، وأعمال خيرية، عبر قرائتها قراءة علمية. وقواعد تطوير الاقتصاد الإسلامي يقوم على أسس منها: المشاركة في المخاطر، وموارد الدولة، والاعتراف بالملكية الخاصة والعامة، والحرية الاقتصادية، والتكافل الاجتماعي، لذا أوصي بالاهتمام بهذه الجوانب، لأجل بناء مجتمع صالح على مستوى الفرد والجماعة .

الكلمات المفتاحية: دور، السنة، تعزيز، الإصلاح المجتمعي.

Abstract:

This research focuses on advancing society through activating societal reform across seven main areas, while highlighting role of Prophet’s Sunnah in strengthening reform framework. It emphasizes pioneering contribution of Sunnah in improving society by promoting goodness and benefit for individuals and communities. The research problem examines role of Sunnah in enhancing a distinguished international position, investing in human capital, developing effective public administration, building infrastructure, improving healthcare systems, protecting the environment, and fostering a diversified economy. The study aims to clarify the linguistic and technical meanings of societal reform and to explain how the Sunnah contributes to achieving these developmental dimensions. It also seeks to identify methods for improving governance, strengthening human resources, advancing infrastructure and healthcare, promoting environmental sustainability, and supporting economic diversification. To achieve these objectives, the researcher adopts inductive, analytical, and deductive methodologies. The findings demonstrate that the Prophet’s Sunnah plays a central role in establishing and reinforcing societal reform. It provides a comprehensive framework that supports modern visions in state-building and strategic planning across various fields, including economic, cultural, diplomatic, health, and social sectors. The study also highlights key principles of Islamic economic development, such as risk-sharing, efficient use of state resources, recognition of both private and public ownership, economic freedom, and social solidarity. The research concludes by recommending greater attention to these principles to build a balanced and sustainable society at both individual and collective levels.

Keywords: Role, Sunnah, promotion, societal reform.

معلومات المراسل : محمد عزيز العازمي
البريد الالكتروني الرسمي : mohammed.alaziz@ku.edu.kw

Doi: https://doi.org/10.54940/si48979894
1658-8738 / © 2025 by the Authors.
Published ***by J. Umm Al-Qura Univ. Shariah. Sci. Islamic Stud.***

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

امتازت السنة النبوية، بالأصالة، والجدية، والوقوف خلف المنظمات والمؤسسات الدولية، فكان لها قصب السبق في التوجيه والإرشاد، من خلال مواجهتها لما يعتري المجتمع من معضلات، ومشاكل، يقف المفكرون والمثقفون حيالها حيارى، مضطربة أقوالهم حينا، ومتفقة حينا آخر، باحثين عن الهداية التي تجتمع عليها الأمة، ويسكن بها جأشه.

ولا غرو بما نقرأه ونسمعه عن المفكرين والمثقفين الغربيين، بما يقدمونه من حلول ورؤى، لما يعتري مجتمعهم من مشاكل، وإن كانت تلك الحلول والرؤى في مضمونها مجدية، إلا أنها لم تراع الجوانب كلها مما يكون فيه صلاح الفرد والمجتمع، لكن بالرجوع إلى السنة النبوية، فإننا سنجد التوازن في جميع الحلول على مر العصور والدهور، على مستوى الفرد والمجتمع.

وبناء على ذلك، قمت بتسطير هذا البحث من أجل بيان دور السنة النبوية في تعزيز الإصلاح المجتمعي تطبيقا على سبعة محاور، تأكيدا على مكانتها وريادتها في خلق الحلول والمقترحات، ليس على سبيل التنظير والتقعيد فقط، بل على سبيل التفعيل والتصنيع.

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من خلال المضمون الذي يحتويه، والمقترحات التي يبديها، للنهوض بالمجتمع الإسلامي، وتتلخص في العناصر الآتية:

1. إبراز الدور الريادي الذي تقوم به السنة النبوية، في الإصلاح المجتمعي، من خلال تقديم الخير والنفع لأفراد المجتمع.
2. التأكيد على الباحثين في السنة النبوية بضرورة المشاركة في تقوية الروابط الإسلامية، والعمل على وحدة الصف، واجتماع الكلمة.
3. التركيز على دور السنة النبوية، مع جميع التيارات والآراء الفكرية، والعمل جنبا إلى جنب، لتحقيق الرخاء الاقتصادي، والأمن المجتمعي.

مشكلة البحث

يرتكز البحث على نقاط مهمة، وتتشكل في الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم الإصلاح المجتمعي؟
2. ما دور السنة النبوية في تعزيز المكانة الدولية المتميزة؟
3. ما دور السنة النبوية في استثمار رأس المال البشري؟
4. ما دور السنة النبوية في تنمية الإدارة الحكومية الفاعلة؟
5. ما دور السنة النبوية في إنشاء البنية التحتية؟
6. ما دور السنة النبوية في عناية وتطوير الرعاية الصحية؟
7. ما دور السنة النبوية في الحفاظ على البيئة؟
8. ما دور السنة النبوية في تنمية الاقتصاد المتنوع؟

أهداف البحث

الهدف من وراء البحث، هو الإجابة على الأسئلة السابقة الواردة في مشكلة البحث، وهي:

1. الوقوف على دلالة الإصلاح المجتمعي من خلال مفرداته اللغوية عند أهل اللسان العربي، والاصطلاحي.
2. بيان دور السنة النبوية في تعزيز المكانة الدولية المتميزة.
3. بيان دور السنة النبوية في استثمار رأس المال البشري.
4. بيان دور السنة النبوية في تنمية الإدارة الحكومية الفاعلة.
5. بيان دور السنة النبوية في إنشاء البنية التحتية.
6. بيان دور السنة النبوية في عناية وتطوير الرعاية الصحية.
7. بيان دور السنة النبوية في الحفاظ على البيئة.
8. بيان دور السنة النبوية في تنمية الاقتصاد المتنوع.

الدراسات السابقة

من خلال جهدي المقل، في البحث حول هذا الموضوع، لم أقف على دراسة علمية تناولت هذا الموضوع عبر المحاور السبعة التي تضمنها البحث. إلا أن هناك ثمة بحوث تتقارب في مضمونها مع بعض جزئيات بحثي، منها على سبيل المثال:

- «أثر السنة النبوية في إصلاح الواقع الاجتماعي والاقتصادي: نماذج عملية تطبيقية في السيرة النبوية». للباحث إلياس ذكار، نشر في مجلة الصراط للبحوث والدراسات الإسلامية المقارنة، جامعة الجزائر 1- بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية - خروبة. الجزائر، المجلد 22، العدد 3 (31 ديسمبر/كانون الأول 2020).

وجه التقارب: الحديث عن الإصلاح.

وجه الاختلاف: اختصاصه بالجانب الاجتماعي والاقتصادي. واقتصاره على نماذج تطبيقية في السيرة النبوية.

ما يمتاز به بحثي: امتاز بحثي بشموله حول الإصلاح المجتمعي في جميع مجالاته؛ بداية من إصلاح المجتمع باختيار المكانة المتميزة، واستثمار رأس المال البشري، وتنمية الإدارة الحكومية الفاعلة، وإنشاء البنية التحتية، وتنمية الاقتصاد المتنوع، والحفاظ على البيئة، وعناية وتطوير الرعاية الصحية.

- «أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية — دراسة تأصلية». للدكتور يحيى شطناوي - كلية الشريعة - جامعة اليرموك.

وجه التقارب: الحديث عن الإصلاح.

وجه الاختلاف: اختص البحث بالحديث حول إبراز أثر السنة النبوية وبيان دورها الفاعل في بناء شخصية الفرد المسلم من خلال اختيار نماذج عملية من صحيح السنة على سبيل التمثيل.

ما يمتاز به بحثي: شموله الحديث عن دور السنة النبوية في إصلاح الفرد والمجتمع عبر المجالات السابقة.

- «أثر السنة النبوية في إصلاح المجتمع من خلال حفظ الجوارح» للدكتورة فاتن الجغل، كلية الشريعة - الجامعة الأردنية -.

وجه التقارب: الحديث عن الإصلاح.

وجه الاختلاف: ركزت الباحثة حول تربية الأفراد تربية سليمة من خلال وضع حدود لتصرفاتهم وسن قوانين وتشريعات صارمة رادعة عن الوقوع في الخطأ،

وبينت اعتناء السنة النبوية بحفظ جوارح أفراد المجتمع، وبيان الأمور التي تعينهم على ذلك. ولم يتطرق بحثي لهذا الجانب.

ما يمتاز به بحثي: شموله الحديث عن دور السنة النبوية في إصلاح الفرد والمجتمع عبر المجالات السابقة.

- «الشَّمَائِلُ النَّبَوِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي إِصْلَاحِ الفَرْدِ وَالمجْتَمَع – الجزء الثالث»؛ د. محمد بن علي اليولو الجزولي، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة. الرابطة المحمدية للعلماء- المملكة المغربية. 1- 12- 2014م.

وجه التقارب: الحديث عن الإصلاح.

وجه الاختلاف: اختص البحث بضرب الأمثلة من السيرة والشمائل المحمدية لبعض عناصر إصلاح المسلم، دون التطرق إلى إصلاح المجتمع.

ما يمتاز به بحثي: شموله الحديث عن دور السنة النبوية في إصلاح الفرد والمجتمع عبر المجالات السابقة.

- «أثر السنة في تقوية الأواصر الاجتماعية»؛ محمد الجنابي، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

وجه التقارب: الحديث عن المجتمع.

وجه الاختلاف: اختص هذا البحث بالحديث عن منزلة السنة من الدين، وأسس السنة النبوية في تقوية الروابط الاجتماعية كالعلاقة الاجتماعية بين الأسر، وإفشاء السلام، والزيارات الاجتماعية. وهذا ما خلا بحثي عنه.

ما يمتاز به بحثي: شموله الحديث عن دور السنة النبوية في إصلاح الفرد والمجتمع عبر المجالات السابقة.

- «دور السنة النبوية في حل المشكلات الاجتماعية: نماذج تطبيقية»؛ إعداد: فرج، سعد عبد الرحمن، ولاء صباح توفيق. مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد كلية التربية للبنات، المجلد 25، العدد 4 (31 ديسمبر/كانون الأول 2014م).

وجه التقارب: الحديث عن المجتمع.

وجه الاختلاف: اختص هذا البحث بالحديث عن وضع الإسلام متمثلا في مصدريه الرئيسين القرآن والسنة شروطا ومقومات للمجتمع الصالح، كما وضع الحلول لمشكلاته التي بدأت تتفاقم في مجتمعنا الإسلامي، وذلك ببيان واقعية السنة النبوية في هذه الحلول. وهذا ما خلا منه بحثي.

ما يمتاز به بحثي: شموله الحديث عن دور السنة النبوية في إصلاح الفرد والمجتمع عبر المجالات السابقة.

- «دور السنة النبوية في رعاية البيئة والمحافظة عليها»؛ إعداد: د. سعيد الفرقي.
- «دور السنة في المحافظة على الموارد الطبيعية: الماء أنموذجا»؛ إعداد: إشراقة محمد نور.
- «دور السنة النبوية المشرقة في صناعة الإبداع والتميز»؛ إعداد: د. نجم عبد الرحمن خلف، د. ساجدة حلمي سمارة.
- «دور السنة النبوية في تأصيل التنمية البشرية من الجانب الإداري دراسة استقرائية»؛ إعداد: د. سعدون محمد جواد.
- «دور السنة النبوية لإرساء السلام في العلاقات الدولية»؛ إعداد: أ.د. جمال محمد فقي.
- «الموارد البشرية في السنة منهج الاستشراق في المستقبل»؛ إعداد: د. حكيمة حفيظي.

وهذه الدراسات الست الأخيرة تناولت إشارات من جوانب بحثي، وامتاز بحثي بالحديث عن محاور سبعة.

منهج البحث

التزمت في هذا البحث المناهج التالية:

أولا: المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء ما ورد في السنة النبوية من خلال استخدام المكتبة الشاملة، حول المحاور السبعة التي يقوم عليها إصلاح المجتمع، لاستخراج مادة البحث.

ثانيا: المنهج التحليلي: من خلال تحليل المادة العلمية ودراستها.

ثالثا: المنهج الاستنباطي: من خلال بذل أقصى جهد عقلي ونفسي، لاستخراج مقترحات إصلاحية، مستنبطة من أدلتها التفصيلية، ومن ثم استخدمت هذا المنهج بهدف استخراج الوسائل التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في الإصلاح المجتمعي، كما ورد ذلك في السنة النبوية، للاستفادة منها في عصرنا الحاضر.

خطة البحث

يحتوي البحث على مقدمة، وتمهيد، وسبعة محاور، وخاتمة.

- المقدمة: وفيها أهمية البحث، ومشكلته وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث وخطته.
- التمهيد: ويحتوي على مفهوم الإصلاح المجتمعي في اللغة والاصطلاح.
- المحور الأول: دور السنة النبوية في تعزيز المكانة الدولية متميزة.
- المحور الثاني: دور السنة النبوية في استثمار رأس المال البشري.
- المحور الثالث: دور السنة النبوية في تنمية الإدارة الحكومية الفاعلة.
- المحور الرابع: دور السنة النبوية في إنشاء البنية التحتية.
- المحور الخامس: دور السنة النبوية في عناية وتطوير الرعاية الصحية.
- المحور السادس: دور السنة النبوية في الحفاظ على البيئة.
- المحور السابع: دور السنة النبوية في تنمية الاقتصاد المتنوع.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج.
- مصادر ومراجع البحث.

التمهيد: مفهوم الإصلاح المجتمعي في اللغة والاصطلاح.

مفهوم الإصلاح المجتمعي مركب إضافي مكون من شقين: الإصلاح، والمجتمعي. ولكل منهما دلالته الخاصة، وبإضافتهما معنى آخر. وحتى يتضح المعنى فسوف أقوم ببيان دلالة كل لفظة على حدة، وأستخلص مفهومهما الإضافي.

مفهوم الإصلاح المجتمعي باعتبارهما مفردين:

أولاً: مفهوم الإصلاح:

الإصلاح لغة: مصدر للفعل «أصلح» وأصله الفعل صلح المكون من الصاد واللام والحاء المهملة خلاف الفساد، تقول: صلح الشيء يصلح صلوحا. والإصلاح ضد الإفساد(1).

---

(1) الصحاح تاج اللغة، الجوهري، مادة: صلح (383/1)، مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: صلح (303/3)، مختار الصحاح، الرازي، مادة: ص ل ح (ص178).

الإصلاح في الاصطلاح: تناول العلماء مفهوم الإصلاح بدلالات شتى، وذلك حسب استخدامهم لها، والذي يعنينا في هذا البحث ما يلي:

«الإصلاح هو إزالة الخلل والفساد الطارئ على الشيء»(2).

وقيل: «الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد»(3).

إذن الإصلاح يدور معناه حول إزالة الفساد الذي يطرأ على الشيء، وإعادته إلى ما كان عليه من الصلاح والاعتدال والنفع.

ثانياً: مفهوم المجتمعي:

الاجتماع في اللغة: أصلها من الفعل جمع، فالجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، وجمعت الشيء جمعا وجمعته بالتثقيل مبالغة. يقال: جمعت الشيء جمعًا، وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعًا، وجمعه وأجمعه فاجتمع(4).

الاجتماع في الاصطلاح: عرفه الجرجاني بقوله: «تقارب أجسام بعضها من بعض»(5).

وعرفه السيوطي بقوله: «الاجتماع: وجود أشياء كثيرة يعمها معنىً واحد»(6).

وتناوله الكفوي والمناوي بقولهما: «الاجتماع: مجاورة جوهرين في حيزين، ليس بينهما ثالث، وضده الافتراق، وهو وقوع جوهرين بينهما حيز»(7).

ثالثاً: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي:

مقصود الشرع من الاجتماع هو ما يحمد شرعًا، وهو أن يلتقي المسلمون، وينضم بعضهم إلى بعض، ولا يتفرقوا. وعليه فلا يختلف معنى الاجتماع في الاصطلاح عن المعنى الذي يفيده في أصل اللغة.

مفهوم الإصلاح المجتمعي باعتبارهما مركبا إضافيا:

بعد تفصيل مفهوم الإصلاح المجتمعي باعتبارهما مفردين أستطيع أن أستخلص من ذلك مفهوما باعتبارهما مركبين، فأقول: «هو عملية سعي جماعية لتحسين أوضاع المجتمع وتطويرها في مختلف جوانبها، عبر إزالة الفساد الذي يطرأ على الشيء، وإرجاعه إلى عادته بمجاورة الأجسام الصالحة بعضها إلى بعض، للوصول إلى الاعتدال والنفع للجميع».

وعرفه الدكتور أحمد مختار بقوله: «هو مجموعة الأنشطة التي تهدف إلى إعادة التنظيم للمؤسسات الاجتماعية للوصول إلى مستوى أفضل من العدالة الاجتماعية، كما يقصد به القضاء على الفساد في الأجهزة الحكومية والمتناقضات في أهداف المؤسسات المختلفة ونظمها»(8).

المحور الأول: دور السنة النبوية في تعزيز المكانة الدولية متميزة.

ينبع تعزيز المكانة الدولية ويرسخ من خلال عقيدتنا الإسلامية المجيدة المستمدة من القرآن الكريم، وسنة نبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، فعلى ضوء السنة النبوية نستنبط أن المكانة الاستراتيجية مرتبطة بعناصر السمعة التي يمكن أن تميز منظمة عن أخرى، وتخلق لها مكانة مميزة عن غيرها، لذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم المدينة، مهجرا وموطنا كما جاء في رواية عروة بن الزبير عن خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ»(9) وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المدِينَة..(10).

واختيار النبي صلى الله عليه وسلم لمدينة يثرب المدينة المنورة لتكون عاصمة الإسلام الأولى كان بسبب أهميتها الاستراتيجية والتي تتمثل في عدة نقاط، منها: الناحية الأمنية؛ وذلك لموقعها الجغرافي المحصن بالجبال من ثلاث جهات الشرقي والغربي والجنوبي. وأيضا: ما تتمتع به المدينة من قوة اقتصادية؛ لوفرة نخيلها، وكونها تقع على ممر القوافل التجارية الذاهبة والقادمة من بلاد الشام.

فمن أهم العوامل الاستراتيجية لاختيار النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة لتكون مركزاً لعاصمة الإسلام هو سمعة المكانة الاستراتيجي، المتمثل في وجود الأرض المناسبة، والشعب الطيب المؤمن، والطائع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضا البعد الأمني، والاقتصادي. وقد قامت السنة النبوية بتعزيز المكانة الدولية المتميزة في عدة مجالات منها:

المجال الدبلوماسي:

ينبع المجال الدبلوماسي ويستمد نوره من السياسة النبوية الرشيدة، حيث قام النبي صلى الله عليه وسلم بوضع ميثاق المدينة الذي أصدره إثر دخوله إياها. ويهدف دستور المدينة إلى تحسين العلاقات بين مختلف الطوائف والجماعات في المدينة، وعلى رأسها المهاجرين والأنصار والفرق اليهودية وغيرهم، حتى يتمكن بمقتضاه المسلمون واليهود من التصدي لأي عدوان خارجي على المدينة.

وبإبرام هذا الدستور صارت المدينة المنورة دولة وفاقية رئيسها الرسول صلى الله عليه وسلم، وصارت المرجعية العليا للشريعة الإسلامية، وصارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، والمساواة والعدل.

يؤكد على ذلك ما جاء في أحد بنودها: «وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ(11) إلا نفسه...»(12).

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما كانت العرب وغيرها من الأمم تتعارف على ثقافات في الدبلوماسية، ونجد أن النبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع بعضها بالقبول، ومدركا أنها ثقافات تبني وتخدم القيم التي جاء داعيًا إليها، وخاصة الوفاء بالعهد، وتجنُّب الغدر، ويظهر هذا جليًّا فيما رواه نعيم بن مسعودٍ الأشجعي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابَ مسيلمة: «مَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟» قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ. قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا»(13).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُطبِّق على الرجلين حدَّ الردَّة مع فداحة ذنبهما وتجرئهما على مقام الرسالة، وكل هذا منه رعاية لهذا العرف في التعامل مع الرسل.

---

(2) الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري، (239/5).

(3) القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، (ص215).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: جمع (479/1)، المصباح المنير، الفيومي، مادة: ج م ع (108/1)، الصحاح، لجوهري، مادة: جمع (1198/3).

(5) التعريفات، الجرجاني، (ص10).

(6) معجم مقاليد العلوم، السيوطي، (ص137).

(7) الكليات، الكفوي، (ص46)، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص38).

(8) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، (1312/2).

(9) «لابتين»، تثنية لابة، واللابة بتخفيف الباء الموحدة وهي الحرة ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها، والمدينة ما بين حرتين عظيمتين، والحرة، بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء. تاج العروس، للزبيدة، مادة: لوب. (223/4).

(10) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (58/5) رقم (3905).

(11) يوتغ: أي يهلك. الصحاح تاج اللغة، للجوهري، مادة: وتغ (1328/4).

(12) ينظر دستور المدينة: سيرة ابن هشام (503/1)، الروض الأنف للسهيلي (176/4)، سبل الهدى والرشاد، للصالحي (382/3).

(13) أخرجه أبو داود كتاب الجهاد باب في الرسل (2761)، وصححه الحاكم في المستدرك (6132) على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

المجال التجاري:

النشاط التجاري جاء رسمه وتخطيطه وتنفيذه في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث اختار الله له المدينة المنورة، سكنا وموطنا، وذلك لما امتازت به من موقع جغرافي متميز، وطبيعة كونها مدينة وحولها القرى والأعراب لا بد أن تجعل فيها حركة تجارية، وأن يكون كثير من أهلها قد تفرغوا لأعمال التجارة. ولقد وردت في القرآن الكريم آيات مدنية كثيرة فيها بعض الأوامر والنواهي والتشريعات التجارية(14).

وكان في المدينة عدة أسواق، من أهمها سوق بني قينقاع، وحين قامت الدولة الإسلامية في يثرب بعد الهجرة كانت وسائل البيع والتعامل - كالربا والنجش وغيرها من البيوع المحرمة - سائدة في المدينة، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعمل على تنظيمها، وقد ساق أصحاب الحديث أوامر كثيرة أصدرها النبي صلى الله عليه وسلم تأمر بعدم استخدام الوسائل غير الشريفة في البيع والشراء والمعاملات، فقد نهى أن يبيع حاضر لباد -أي لا يكون له سمسارًا- لما في ذلك من خداع. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تلقوا الركبان، ولا يبع حاضر لباد»، قال: فقلت لابن عباس: ما قوله «لا يبيع حاضر لباد» قال: لا يكون له سمسارا(15).

وقد أدى هذا إلى رواج التجارة الداخلية، وبدأت الثقة تأخذ طريقها إلى نفوس البدو الذين كانوا يفدون بما لديهم من سلع، وأخذت عرب المدينة بقسط كبير من مزاولة التجارة الداخلية، وبخاصة المهاجرين من قريش الذين انضافت خبرتهم التجارية إلى حركة التنظيم الجديدة؛ فسيطروا على السوق الداخلية وجنوا من وراء ذلك ثروة كبيرة، وبدت واضحة مع الأيام فيما كان من ثروات، أمثال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ممن اشتهروا بالتجارة، حتى لقد أسهم عثمان في تجهيز جيش تبوك بتسعمائة وخمسين جملًا وخمسين فرسًا وألف دينار(16)، وقد كان لتنظيم المعاملات في سوق المدينة أثر على اليهود الذين كانوا يستغلون فساد المعاملات لزيادة ثرواتهم(17)، الأمر الذي كان له أثره على العلاقات بين المسلمين واليهود(18).

المجال الثقافي:

مفهوم الثقافة يعني: «جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها»(١٩). وبالرجوع إلى سنة النبي المصطفى، نرى اهتمامه صلى الله عليه وسلم واعتناءه بالجانب الثقافي، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على توظيفها، بل ويصبغها بالصبغة الإسلامية التي تميزها عن سائر الأمم، ويبدو هذا من خلال الأمثلة التالية:

- «اتخاذ الخاتم» تعارفت الدول على ختمها، وهذا ما ورد عن أنس بن مالك قال: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قَالُوا: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، «فَاتَّخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِهِ، وَنَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»(20). فنرى أنه صلى الله عليه وسلم لم يخالف هذا العرف الدولي، ورأى موافقته؛ لأنه ثقافة بناءة، ولكنه في نفس الوقت طوَّعه للسنة المحمدية؛ فكان نقشه: محمد رسول الله.

- «التعامل مع اللغات الأجنبية» عالمية الإسلام تقتضي وجوب التواصل مع الأمم الأخرى بلغاتها؛ إقامةً للحجة، وإظهارًا للمحجة، ونجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عُنِيَ ببعض اللغات، ومن ذلك ما جاء عن زيد بن ثابتٍ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات كتاب يهود، قال: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ» قَالَ: «فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ» قَالَ: «فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»(21). وعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، قَالَتْ: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ، فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمِيصَةً لَهَا أَعْلاَمٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «سَنَاهْ سَنَاهْ» قَالَ الحُمَيْدِيُّ: «يَعْنِي حَسَنٌ، حَسَنٌ»(22). وهذا يعتبر من الانفتاح الثقافي عند النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم، ولم يكن منغلقا، كما يدعي بعض غير المنصفين.

- «وثيقة المدينة وتعاملها وانفتاحها على الثقافات والديانات الأخرى». كان الهدف من كتابة دستور المدينة هو تحسين العلاقات بين مختلف الطوائف والجماعات في المدينة، وعلى رأسهم المهاجرون والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم، حتى يتمكن المسلمون واليهود وجميع الفصائل بمقتضى الدستور من التصدي لأي عدوان خارجي على المدينة. وبإبرام هذا الدستور وإقرار جميع الفصائل بما فيه أصبحت المدينة المنورة دولة وفاقية يرأسها النبي محمد، والمرجعية العليا للشريعة الإسلامية، جميع الحقوق الإنسانية مكفولة فيها كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر والمساواة والعدل(23). ومن خلال هذه الوثيقة يتضح أهمية ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح مع اليهود أو غيرهم.

العمل الخيري:

العمل الخيري من المبادئ، التي أرساها الإسلام لإقامة حياة فاضلة على وجه المعمورة، ففي سنة النبي صلى الله عليه وسلم إعلان نداءات هادئة خالدة تصلح لكل زمان، وتزرع الخير في كل مكان: فقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...»(24).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(25).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»(26).

المحور الثاني: دور السنة النبوية في استثمار رأس المال البشري.

رأس المال البشري: «هو عبارة عن مجموعة الطاقات البشرية التي يمكن استخدامها لاستغلال مجمل الموارد الاقتصادية»(٢٧).

---

(14) سورة البقرة 383، النساء 29، التوبة 241، النور 16، الجمعة 9-11.

(15) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب هل يبيع حاضر لباد. (2159).

(16) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (1040/3).

(17) الروض الأنف وبهامشه سيرة ابن هشام، للسهيلي (450/1).

(18) كتاب مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، لأحمد إبراهيم الشريف (ص303).

(19) دراسات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد الجلي (ص8).

(20) أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب الشهادة على الخط المختوم (7162)، ومسلم كتاب اللباس والزينة باب لبس النبي صلى الله عليه وسلم خاتما (2092).

(21) أخرجه أبو داود كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب (3645)، والترمذي أبواب الاستئذان والأدب باب ما جاء في تعليم السريانية (2715) وقال حسن صحيح.

(22) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب هجرة الحبشة (3874).

(23) وثيقة المدينة. تأسيس لمفهوم التسامح. مؤرشف من الأصل في 2018/11/20م.

(24) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (2699).

(25) أخرجه البخاري كتاب المزارعة باب فضل الزرع والغرس (2320)، ومسلم كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع (1552).

(26) أخرجه مسلم كتاب المساقاة باب فضل إنظار المعسر (1563).

(27) دور رأس المال البشري في تجنيد الأموال في المؤسسات الأهلية العاملة في قطاع غزة، لمحمد طلال أبو الروس، (ص30).

وإذا رجعنا إلى السنة النبوية؛ وبحثنا عن تعزيز هذا البرنامج الإصلاحي، لوجدنا الريادة في تنمية رأس المال البشري، حيث استخدم النبي صلى الله عليه وسلم شتى الوسائل والتقنيات لتطوير العملية التعليمية، فكان صلي الله عليه وسلم قدوة عملية حية «قرآناً يمشي علي الأرض»، وفي هدايته، وتربيته، وتعليمه صلي الله عليه وسلم لأهله وصحبه والناس كافة، تنوعت وتعددت السبل، ومن تلكم المشاهد التي استخدمها النبي في إصلاح وتطوير التعليم ما يلي:

- «التدرج التعليمي» استخدم النبي صلى الله عليه وسلم التدرج التعليمي في تعليم الشرائع، مقدماً الأهم فالأهم، ومعلماً شيئاً فشيئاً، ليكون أقرب تناولاً، وأثبت على الفؤاد حفظاً وفهماً، من ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن»(28). وحول أهمية التدرج في التعليم يحدثنا ماجد الكيلاني قائلا: «لا بد أن تتوارى مكونات – مختبر التطبيقات –، وأنشطته مع مراحل عمر الإنسان المسلم المراد إخراجه ابتداء من مرحلة الحضانة حتى الرشد. فتكون هناك روضة التطبيقات، ومدرسة التطبيقات، وجامعة التطبيقات...»(29).

- «رعاية الفروق الفردية» راعى النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه الصحابة رضي الله عنهم الفوارق الذهنية والسنية، حيث كان شديدا في مراعاته للفروق الفردية بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يخاطب كل واحد بقدر فهمه، وبما يلائم منزلته، من ذلك قوله لرجل: «لا تغضب» وكررها ثلاثا(30)، وأمره لآخر وقد جاء يبايعه على الجهاد والهجرة أن يبقى مع والديه، ويحسن صحبتهما(31)، وطلبه من أحدهم وقد سأله ما أكثر ما يخافه عليه، أن يمسك عليه لسانه(32).

- «الحوار والمساءلة» من أساليب ووسائل التعليم الناجعة التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة رضي الله عنهم الحوار والسؤال، فلهما أهمية عظيمة في تنمية الحركة التعليمية؛ فمن فوائدها أنها تذهب الملل عن السامع وتجعله يحفظ ما يسمع وقد رآه شاخصاً أمام عينيه، كما في حديث جبريل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان(33). ويتجلى هذا الأسلوب في سؤال النبي أصحابه عن الشجرة التي لا يسقط ورقها(34).

- «استعمال وسائل الإيضاح» في استثمار رأس المال البشري عبر تنمية المجال التعليمي استعمل النبي ﷺ أساليب وأشكال متعددة ومن تلك الأشكال – الرسم على الأرض والتراب – قال جابر: «كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخط بيده في الأرض خطاً هكذا أمامه، فقال: هذا سبيل الله عز وجل، وخط خطين عن يمينه، وخطين عن شماله، وقال: هذه سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153](35).

- «الإفادة دون سؤال» من طرق التعليم المتطورة التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم ابتداؤه أصحابه بالإفادة قبل أن يبادره أحدهم بالسؤال، وتبرز مكانة وأهمية هذه الطريقة في الأمور المهمة التي لا ينتبه لها كل واحد حتى يسأل عنها، فكان صلى الله عيه وسلم يعلم أصحابه جواب الشبهة قبل حدوثها، خشية أن تقع في النفوس فتستقر بها، وتفعل فعلها السيئ، ويظهر ذلك في قوله لأصحابه «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»(36).

- «توظيف المناسبات» أي انتهازه صلى الله عليه وسلم المناسبات العارضة في التعليم، فيربط بين المناسبة القائمة، والعلم الذي يريد بثه وإذاعته كما في قصة الجدي الميت، وتهوين أمر الدنيا في قوله: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»(37).

- «الترغيب والترهيب» وهذا أسلوب قرآني نبوي عظيم فلم يقتصر ﷺ على الترهيب خشية التنفير، ولا على الترغيب لئلا يؤدي إلى الكسل وترك العمل.

- «التعليم بالعبرة» وهذا أيضا أسلوب قرآني نبوي وهدف من أهداف القصص القرآني وأخبار الماضين ليكون في ذلك العبرة والموعظة والقدوة والائتساء. كما في حديث الرجل والكلب العطشان(38)، وفي حديث المرأة والهرة التي حبستها(39).

- «ضبط المعلومة بالكتابة» ويتمثل ذلك في اتخاذه صلى الله عليه وسلم الكتابة وسيلة في التعليم والتبليغ ونحوهما، فقد كان له أكثر من خمسة عشر كاتباً يكتبون عنه القرآن، وكتاب آخرون إلى الآفاق والملوك لتبليغ الإسلام، والدعوة إليه. روى أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»(40). قال المناوي: «العلم يعقل ثم يحفظ فإذا كان القلب معلولا بهذه العلة والنسيان كامن فخيف ذهابه قيد بالكتابة لئلا يفوت ويدرس فنعم المستودع»(41). وقال بعض العلماء: «إن هذه الآداب نوافر تند «أي تنفر» عن عقل «قيود» الأذهان فاجعلوا الكتب عنها حماة والأقلام لها رعاة»(42).

- «الحركات المعبرة» الحركات المستخدمة كأسلوب تربوي في التعليم مختلفة ومتنوعة؛ فمنها حركة الإشارة بالأصابع أو باليد أو باليدين أو غيرهما أو تغير ملامح الوجه أو هيئة الجلسة الخ بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس وبلورتها، ومن أمثلة استخدامه الإشارة بالإصبع قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار بأصبعه السبابة والوسطى»(43).

وهذا ما يؤكد على أنه صلى الله عليه وسلم معلم بذاته الشريفة لكل متعلم ومسترشد، تتمثل فيه غاية التعليم بأساليبه المختلفة، فقد كان صلى الله عليه وسلم معلماً، بمظهره ومخبره، وحاله ومقاله، وجميع أحواله. مما أثمر عن ذلك نشأة جيل، هو أفضل جيل على مر التاريخ؛ جيل الصحابة الكرام الذين تربوا على يدي أفضل معلم، وحق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ

---

(28) أخرجه الطبري في جامع البيان = تفسير الطبري (35/1). قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لجامع البيان: «هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير».

(29) أهداف التربية الإسلامية، الكيلاني، (ص530).

(30) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب (6116).

(31) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب الجهاد بإذن الأبوين (3004)، ومسلم كتاب البر والصلة باب بر الوالدين وأنهما أحق به (2549).

(32) أخرجه أبو داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي (4343)، والترمذي أبواب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان (2406)، وقال حديث حسن.

(33) أخرجه البخاري كتاب العلم باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم (50)، ومسلم كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام (8).

(34) أخرجه البخاري كتاب العلم باب قول المحدث حدثنا (61)، ومسلم كتاب صفة القيامة باب مثل المؤمن مثل النخلة (2811).

(35) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (11).

(36) أخرجه البخاري كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (2038)، ومسلم كتاب الآداب باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به (2175).

(37) أخرجه مسلم كتاب الزهد (2957).

(38) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم (6009)، ومسلم كتاب الآداب باب فضل ساقي البهائم (2244).

(39) أخرجه البخاري كتاب المساقاة باب فضل سقى الماء (3264)، ومسلم كتاب الآداب باب تحريم قتل الهرة (2242).

(40) أخرجه الحاكم في المستدرك (362) وسكت عنه وقال الذهبي في التلخيص ابن المؤمل ضعيف. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (77/1) لا يصح. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (700) موقوفا على أنس رضي الله عنه، وأخرجه الدارمي في سننه (514) موقوفا على عمر رضي الله عنه.

(41) فيض القدير، المناوي (530/4).

(42) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، لمحمد منير مرسي (ص226).

(43) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيما (6005).

الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(44).

المحور الثالث: دور السنة النبوية في تنمية الإدارة الحكومية الفاعلة.

إدارة الحكومة الفاعلة تحتاج إلى رقابة، والرقابة ليست مجرد وظيفة، وإنما هي إحساس بالمسؤولية تجاه المؤسسة التي ينتمي إليها المكلف بالرقابة، لذلك يتطلب من القائمين على تنفيذ برامج الإصلاح أن يكونوا على قدر من المسؤولية، وأن يكون التعامل ضمن إطار الفريق الواحد، وتكامل العمل والأدوار.

وإذا التفتنا إلى السنة النبوية ودورها في تأسيس الإدارات الحكومية، وإصلاح الممارسات الإدارية، لوجدنا أنها كانت مسندة للأكفاء من أصحابه وأعوانه عليه السلام.

ومن الأمثلة على النظم الإدارية في عهده صلى الله عليه وسلم، واتخاذه الأكفاء منهم ما يلي:

- «الوزراء»:

عن ابن المسيب قال: كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير؛ فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وثانيه في الغار، وثانيه في العريش يوم بدر، وثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا(45).

وقد جاء ذكر الوزير في كثير من الأحاديث؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»(46).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»(47).

- «الأمراء»:

الأمراء الذين وجههم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهات كثيرون. منهم: عتاب بن أسيد، ولاه النبي صلى الله عليه وسم على مكة، وباذان نائب كسرى ولاه على جميع مخاليف اليمن، وعبد الله بن عمرو بن سبيع الثعلبي ولاه على بني ثعلبة، وعامر بن شهر، وأبو موسى الأشعري، ولاهما النبي على بعض نواحي اليمن، والحارث بن بلال المزني ولاه على نصف جديلة بني طيء، والحارث بن نوفل ولاه على بعض أعمال مكة، وغيرهم الكثير(48).

- «القضاة»:

قد كان النبي صلّى الله عليه وسلم المشرع والقاضي والمنفذ، وهو بذلك جمع بين سلطان التشريع، والتنفيذ، والقضاء، وكان تشريعه للأحكام بصفته رسولا بكونه حاكما عامّا، وانتهت هذه المهمة بوفاته، أما أداؤه لوظيفتي القضاء والتنفيذ فكان تكليفه بهما على سبيل العموم، إذا يقوم بهما الخلفاء من بعده كعمل تقتضيه مصلحة الجماعة(49). وتشعر مرويات السنة النبوية أن النبي صلّى الله عليه وسلم مارس الوظيفة القضائية بصفته حاكما لا بصفته نبيّا، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا»(50).

وقد عد مسروق من ولاهم النبي صلى الله عليه وسلم القضاء، فقال: «كان أصحاب القضاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستا عمر، وعليا وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبا موسى الأشعري»(51).

أما على مستوى التطبيق العملى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم, نجد ما يؤكد دور الرقابة والإشراف فى تنظيم الأسس الإدارية الناشئة, فلقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم عددا من الولاة على المدن والولايات الأخرى وفى الوقت الذى تخير هؤلاء ممن عرفوا بالصلاح والتقوى والأمانة. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستوفى الحساب على عماله فيحاسبهم على المستخرج والمصروف(52).

ولأن من كمال الشريعة اهتمامها بجميع شؤون الحياة التى تتعلق بالإنسان، ولهذا أمرت كل فرد القيام بمسئوليته، فقال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(53).

قال الخطابي: «معنى الراعي ههنا الحافظ المؤتمن على ما يليه يأمرهم بالنصيحة فيما يلونه ويحذرهم أن يخونوا فيما وكل إليهم منه أو يضيعوا وأخبر أنهم مسؤولون عنه ومؤاخذون به»(54).

المحور الرابع: دور السنة النبوية في إنشاء البنية التحتية.

إنشاء بنية تحتية متطورة، لا يتأتى إلا بترسيخ مفهوم الجودة والإتقان، الذي بدوره يكون السبيل إلى تحسين جودة الحياة، ولتطوير البنية التحتية عبر التوجيهات النبوية، نجد أنها وضعت أسسا وركائز تدعمها، ومنها:

- «إخلاص النية» بمعنى تحسين الفرد القصد لله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(55)، فهذا الحديث مما بدأ به البخاري جامعه الصحيح، والحكمة من ذلك التنبيه إلى تصحيح النية في أي عمل كان، لأنه «منبع الخيرات، وبه قامت الشرائع وجاءت الرسالات»(56)، فينبغي تحسين القصد ليتحقق الشطر الأول من علامة الإخلاص، إذ هو رقيب عظيم على المرء.

- «المداومة» بمعنى الاستمرار في الإتقان والتطوير وهو أبرز أسس الجودة، وقد جاء تأسيس هذه الركيزة في حديث عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ

---

(44) أخرجه البخاري كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور (2652)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة (2533).

(45) أخرجه الحاكم في المستدرك (4408). قال الذهبي في رواته مجهول.

(46) أخرجه النسائي كتاب البيعة باب وزير الإمام (4204)، وصححه ابن حبان في صحيحه (4494).

(47) أخرجه أبو داود كتاب الإمارة والخراج باب في اتخاذ الوزير (2932).

(48) ينظر: التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبوية، الكتاني (ص111-112).

(49) الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، لأحمد عجاج كرمي (ص224).

(50) أخرجه البخاري كتاب المظالم باب إثم من خاصم في باطل (2488)، ومسلم كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر (1713).

(51) أخرجه الطبراني في الكبير (197/1) رقم (528).

(52) الرقابة الإدارية والمالية فى الدولة العربية الإسلامية، لخولة عيسى (ص11).

(53) أخرجه البخاري كتاب العتق باب العبد راع في مال سيده (2558)، ومسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الأمام العادل (1829).

(54) معالم السنن، الخطابي (3/2).

(55) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب بدء الوحي (1)، ومسلم كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية» (1907).

(56) هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، (ص470).

لايَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»[57]. قال ابن بطال: «إنما حضّ النبي صلى الله عليه وسلم أمته على القصد والمداومة على العمل، وإن قلّ خشية الانقطاع عن العمل الكثير فكأنه رجوع فى فعل الطاعات، وقد ذمّ الله ذلك، ومدح من أوفى بالنذر»[58].

- «التحفيز المادي والمعنوي» إن التحفيز مبدأ رباني يتضح من خلال قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:30]، ووجود الحافز للعمل أساسي وضروري لتحسين العمل وجودته[59]، بحيث يزيد المحسن إحسانًا، ويشجع المقصر على التحسين والتطوير، ويتجلى دور التحفيز المادي وأثره في بناء البنية التحتية من خلال تنويع النبي صلى الله عليه وسلم له فقد كان يحفز البعض بالمادة، حيث كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، تحفيزاً للناس لهذا الدين وترغيباً لهم بالإسلام، عن أنس رضي الله عنه: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»[60]. ومن التحفيز المعنوي رده مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة في قوله: «خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته. فكلوا بالمعروف. قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت إليه. فقال ألم يكن الذي قلت لك؟ قال فذكرت قوله لي بمكة فقلت: بلى، أشهد أنك رسول الله فأعطاه المفتاح»[61]. فهذا التحفيز المعنوي من النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي طلحة جعله يسلم وينطق بالشهادة فرضي الله عنه وأرضاه.

- «الالتزام بالتحسين المستمر» بحيث يقوم كل عامل بتأدية عمله على أكمل وجه، وبأفضل السبل[62]، ولتحقيق التطور المستمر عنت السنة النبوية بتنمية كفاءة العاملين عن طريق تزويدهم بالمعلومات والمهارات الكافية، لإنجاز أعمالهم بجودة عالية، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[63].

- «تحسين الحياة السياسة» قامت السنة النبوية بدور كبير في تحسين وضع المجتمعات سياسيا، واضعة في الاعتبار سبل وطرق التحسين لأجل بناء بنية تحتية متطورة وأنه لا بد من وجود جودة سياسية تنمو في ظلالها، ويشعر أبناؤها بالأمن والرخاء، من هنا بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بتأسيس الدولة الإسلامية لإقامة شريعة الله تعالى في حياة الناس؛ ومن المبادئ التي قامت عليها مبدأ الشورى فإنه يُعدُّ جزءاً كبيراً من السياسة، ومن المبادئ الأساسية في تحسين الحياة السياسية التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم: الجودة في سياسة أمور الناس الداخلية كالأحوال الشخصية، والخارجية كالسلوك المتبع مع الدول والحكومات، فكان عليه الصلاة والسلام حاكماً وقائداً موحى إليه من ربه، لكي يدبر أمور الناس بالحكمة الربانية التي آتاه الله تعالى لأنبيائه، ولما كان العدل أساس الحكم؛ كان العدل قيمة مطلقة في العمل السياسي، مع العدو والصديق، لذا وجّه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وقال لهم: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ؛ فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ؛ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»[64].

ومن الجودة في الحياة السياسية اختياره صلى الله عليه وسلم أرض الحبشة كي يتم تشكيل نواة أخرى للمسلمين غير التي في مكة، قال ابن إسحاق: «فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا...»[65].

المحور الخامس: دور السنة النبوية في عناية وتطوير الرعاية الصحية.

إذا نظرنا إلى كل التشريعات والتوجيهات التي تحدثت عن الصحة والوقاية والعلاج وحقوق البدن، لرأينا أنها تشكل مساحة واسعة من السنة النبوية، ففيها الحث على العناية بالبدن وحفظ الصحة، والمعالجة من الأمراض، ففيها الهداية والدليل حيث أرشدت إلى أن العلاج يسير وفق نظام الصراع وقانون العلة والمعلول، وهذا الفهم العلمي نقرأه في موارد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، من إرشادات طبية وأوامر بطلب العلاج. فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[66].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ»[67].

وأوضحت السنة النبوية أن لكل مرض علاجا غير أننا نجهله، لذا أوجب البحث عنه واكتشافه، فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[68].

أما الرعاية الصحية باعتبارها حقا للأفراد إزاء الدولة، فقد قررها الإسلام في صور شتى، وليس أدل على ذلك من القوم الذين قدموا المدينة فاجتووها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا»، فَفَعَلُوا، فَصَحُّوا[69].

وختاما يمكن القول إن المسلمين استنبطوا من النصوص النبوية والمبادئ الإسلامية المتعلقة بالصحة سياسات قابلة للتنفيذ على أرض الواقع.

وقد وضعت الشريعة مجموعة من الضوابط والأحكام والآداب، للمعالج الذي يعالج الإنسان، أي معالجة كانت، سواء كانت معالجة للجانب البدني، أم النفسي، أذكرها هنا من الميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية والصحية بإيجاز:

- أن يكون المعالج ذا علم وخبرة وحذق بمهنته الطبية، وفي وقتنا الحاضر: ضرورة

---

(57) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (6465)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضيلة العمل الدائم (782) واللفظ له.

(58) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (179/10).

(59) الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات – قراءة إسلامية، بدرية بنت صالح الميمان، (ص29).

(60) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه (3212).

(61) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (267/1). إسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن المؤمل قال الذهبي: ضعفوه. ميزان الاعتدال (510/2).

(62) الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات – قراءة إسلامية، بدرية بنت صالح الميمان، (ص29).

(63) أخرجه أبو يعلى في مسنده (4386)، وصححه البيهقي في الشعب (4931).

(64) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (18190) حسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص690).

(65) سيرة ابن هشام (321/1).

(66) أخرجه البخاري كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (5678).

(67) أخرجه أبو داود كتاب الطب باب في الرجل يتداوى (3855)، والترمذي أبواب الطب باب ما جاء في الدواء والحث عليه (2038) وقال حسن صحيح، وابن ماجه كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء (3436).

(68) أخرجه أحمد في مسنده (3922). وصححه الحاكم في المستدرك (399/4) ووافقه الذهبي.

(69) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب استعمال إبل الصدقة وألبانها (1501)، ومسلم كتاب القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين (1671).

الحصول على الشهادة الطبية، والإذن بممارسة المهنة الطبية من الدولة، وهو أمر معتبر أيضاً في الشرع.

- أن يكون مخلصاً في عمله، أميناً محافظاً على حقوق الآخرين، يبذل ما في وسعه للإتقان والإبداع.
- أن يعرف الأحكام الشرعية الخاصة بالطب والمريض.
- أن يتخلق بالأخلاق الإسلامية الراقية.
- أن يحترم تخصصه الطبي، مع احترامه تخصص الآخرين.
- أن يلتزم أسرار المهنة، وقيمها الأخلاقية الإنسانية التي أقرها الإسلام.
- ألا يقوم بإجراء التجارب على مرضاه، إلاّ بعد الحصول على إذنهم، وعلى موافقة جهة الاختصاص.
- أن يلتزم القوانين والأنظمة واللوائح والقرارات الصحية، التي تصدر عن السلطات المختصة(70).

المحور السادس: دور السنة النبوية في الحفاظ على البيئة.

قبل الحديث عن دور السنة النبوية في تعزيز المعيشة المستدامة، لا بد من تحديد مفهوم الاستدامة، والمراد من ماهيتها، فتعرف الاستدامة بأنها: «دراسة كيفية عمل الأنظمة الطبيعية، والتنوع وإنتاج كل ما تحتاجه البيئة الطبيعية لكي تبقى متوازنة»(71).

وعرفها بكر عبد الله الخرمان بقوله: «هي التفاعل الإيجابي للإنسان مع مكونات البيئة، واستثمارها بما يضمن استمراريتها، تبعا للمبادئ والضوابط الإسلامية»(72).

يرى الدكتور سهيل زغدود أن النظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأن هذه الضوابط هي التي تحول دون أية تجاوزات تفقد التنمية المستدامة مبررات استمراريتها، وفي الوقت نفسه فإن النظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة تعنى بالنواحي المادية، جنبا إلى جنب مع النواحي الروحية والخلقية، فلا تقتصر التنمية المستدامة على الأنشطة المرتبطة بالحياة الدنيا وحدها، وإنما تمتد إلى الحياة الآخرة، بشكل يضمن تحقيق التوافق بين الحياتين، ويجعل صالحية الأولى جسر عبور إلى النعيم في الحياة الأخروية التي هي الحيوان، أي الحياة الحقيقية المستمرة بلا انقطاع وبلا منغصات(73).

وبناء على هذا التقرير يتبين أن الإسلام قد دمج بين متطلبات المادة والروح؛ لأن الإنسان جبل على الاحتياج إلى تلبية حاجته من الروح والمادة، فضلا عن الثقافة والعلوم العامة.

من هنا تتجلى أهمية تعزيز المعيشة المستدامة في السنة النبوية في العديد من الإشارات والمظاهر، التي تشكل آليات تمثل جانبا نظريا وعمليا للاستدامة البيئية مع الحضور الدائم للقيم الأخلاقية والبعد الروحاني المتمثل بالأجر والثواب، وهذا يحفز المسلم إلى ابتغاء الأجر عن طريق تحقيق التنمية لكل ما يحيط به(74).

وقد اتخذت السنة النبوية عددا من الوسائل والأساليب لهداية الناس ودعوتهم للحفاظ على البيئة، فمن هذه الوسائل:

- «الحث على نظافة البيئة وجمالها سواء في الأماكن العامة وغيرها»: فعن سَعِيدَ بْنَ المسَيِّبِ، قال: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا - أُرَاهُ قَالَ - أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ»(75). ومع ضعف الحديث إلا أنه كما تقرر عند أهل الفن بالحديث أنه يعمل به في فضائل الأعمال، وما أجلها المحافظة على البيئة، قال الطيبي: «إذا تقرر ذلك فطيبوا كل ما أمكن تطيببه، ونظفوا كل ما سهل لكم تنظيفه حتى أفنية الدار، وهي متسع أمام الدار، وهو كناية عن نهاية الكرم والجود، فإن ساحة الدار إذا كانت واسعة نظيفة طيبة كانت أدعى بجلب الضيفان، وتناوب الواردين والصادرين»(76).
- «الأمر بإحياء الأرض بالزراعة»: لما في ذلك من إدخال السرور على النفس بالنظر إلى جمال الطبيعة بعد زراعتها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(77). قال النووي رحمه الله: «في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعلى ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة»(78). وقد ترجم ذلك الصحابة رضي الله عنهم فقام علي رضي الله عنه بإحياء أرض الخراب بالكوفة موات، وقال عمر رضي الله عنه: «من أحيا أرضا ميتة فهي له»(79).
- «الدعوة إلى نظافة الأماكن العامة»: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(80).

قال الحافظ العراقي: «المراد بإماطة الأذى عن الطريق إزالة ما يؤذي المارة من حجر أو شوك، وكذا قطع الأحجار من الأماكن الوعرة كما يفعل في طريق، وكذا كنس الطريق من التراب الذي يتأذى به المار وردم ما فيه من حفرة أو وهدة وقطع شجرة تكون في الطريق وفي معناه توسيع الطرق التي تضيق على المارة وإقامة من يبيع أو يشتري في وسط الطرق العامة كمحل السعي بين الصفا والمروة ونحو ذلك فكله من باب إماطة الأذى عن الطريق ومن ذلك ما يرتفع إلى درجة الوجوب كالبئر التي في وسط الطريق التي يخشى أن يسقط فيها الأعمى والصغير والدابة فإنه يجب طمها أو التحويط عليها إن لم يضر ذلك بالمارة»(81).

ومن الأحاديث الدالة على الدعوة إلى نظافة الأماكن العامة ما رواه الطبراني في معجمه الكبير من حديث عَنْ أَبِي الْفَيْضِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا شَيْبَةَ يَقُولُ: كَانَ مُعَاذٌ يَمْشِي وَرَجُلٌ مَعَهُ، فَرَفَعَ حَجَرًا مِنَ الطَّرِيقِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَفَعَ حَجَرًا مِنَ الطَّرِيقِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(82).

---

(70) الميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية والصحية.

(71) ما هي الاستدامة وما هي أهميتها؟ لسعيد سليمان الخواجة، عمان. مجلة آفاق البيئة والتنمية. مجلة الكترونية تصدر عن مركز العمل التنموي، آيار 2016، العدد 84.

(72) آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بكر عبدالله الخزمان، باحث مستقل- الأردن. مداخلة نشرت في كتاب أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر لمركز جيل البحث العلمي حول آليات حماية البيئة، الذي نظم في طرابلس لبنان يومي 26 و27 ديسمبر 2017. ص199.

(73) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، (ص5)، الدكتور: سهيل زغدود، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة باتنة، الجزائر.

(74) آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية. بكر عبد الله عواد ص199.

(75) أخرجه الترمذي في سننه أبواب الأدب باب ما جاء في النظافة، (111/5) رقم (2799)، وقال حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف.

(76) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، (2846/7).

(77) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المزارعة باب فضل الزرع والغرس، (103/3) رقم (2320)، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع (1188/3) رقم (1552).

(78) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، النووي، (213/10).

(79) أخرجه البخاري معلقا في صحيحه كتاب المزارعة باب من أحيا أرضا مواتا، (106/3).

(80) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب شعب الإيمان (63/1) رقم (35).

(81) طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، (304/2).

(82) أخرجه الطبراني في الكبير (101/20) رقم (198). وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر: فيض القدير للمناوي (138/6).

قال المناوي: «أي أماط عن طريق الناس أذى من حجر أو غيره كشوك قاصدا إزالة الضرر عنهم احتسابا وخص الحجر بالذكر لغلبته أو لكونه أعظم ضررا أو بطريق التمثيل»(83).

- «نهيه عن الإفساد في الأرض وتخريبها»: من صور الفساد إتلاف عناصر الطبيعة والنعم التي أودعها الله فيها بالحروب والقتال، فقد جاء في وصية الصديق رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان «لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ. وَلَا تَحْرِقَنَّ نَخْلًا، وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ، وَلَا تَغْلُلْ وَلَا تَجْبُنْ»(84). هذه وصية جامعة دالة على حرص الأمة الإسلامية على البيئة ونظافتها، والبقاء على جمالها. وذكر الفخر الرازي صورا من الفساد قائلا: «فيدخل فيه المنع من إفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة ووجوه الحيل...»(85).

- «تشريع الحجر الصحي للحفاظ على البيئة الصحية»: يعتبر الإسلام أول من دعا إلى الحجر الصحي من أجل الحفاظ على الصحة العامة للمجتمع، دفعا وتقليصا للمرض، ومحاصرة للأوبئة الفتاكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(86).

قال النووي: «معنى الحديث لايورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل صاحب الإبل الصحاح لأنه ربما أصابها المرض بفعل الله تعالى وقدره الذى أجرى به العادة لا بطبعها فيحصل لصاحبها ضرر بمرضها وربما حصل له ضرر أعظم من ذلك...»(87).

وعن إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، يُحَدِّثُ سَعْدًا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا»(88).

قال ابن بطال: «فيه الدلالة على أن على المرء توقى المكاره قبل وقوعها وتجنب الشياء المخوفه قبل هجومها، وأن عليه الصبر وترك الجزع بعد نزولها، وذلك أنه عليه السلام نهى من لم يكن فى أرض الوباء عن دخولها إذا وقع فيها، ونهى من هو فيها عن الخروج منها بعد وقوعه فيها فرارًا منه، فكذلك الواجب أن يكون حكم كل متق من الأمور سبيله في ذلك سبيل الطاعون»(89).

- «من الوسائل التي شرعها الإسلام للحفاظ على البيئة: التعمير»: حيث رغبت السنة النبوية في تعمير الأرض بالبناء، وجعلت في ذلك أجرا يبقى مع الإنسان في الحياة والممات، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتُفِعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»(90). وعن جَابر مرفوعاً: «مَنْ حَفَر ماءً لم تشرب منه كبد حرَّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا سَبُعٍ ولا طائرٍ إلا آجره الله يومَ... القيامة»(91).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعٌ يَجْرِي أَجْرُهَا لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلِمَ عِلْمًا أَوْ أَجْرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بِئْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»(92). فإجراء النهر وحفر البئر وغرس النخل وبناء المسجد كلها إجراءات تسهم في جمال البيئة وحسن منظرها، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وظاهر هذه الأحاديث كلّها يدلُّ على أنَّ هذه الأشياء تكونُ صدقة يُثاب عليها الزارعُ والغارسُ ونحوهما من غير قصدٍ ولا نيةٍ»(93).

- «الاستثمار العقلاني للموارد» تتعامل السنة النبوية مع التنمية المستدامة من خلال الموارد الطبيعية على أنها موارد محدودة، لذلك تحول دون استنزافها أو تدميرها، وتعمل على استخدامها وتوظيفها بشكل عقلاني(94). والتعامل النبوي مع هذه جاء ساميا، وكان تطبيقه في الجانب الأعظم من حياة المسلم وهو جانب العبادة، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه كان يغتسل، بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد»(95).

وبالتأمل في نموذج الوضوء ونقارن بين ما نفعله وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم. فالمد الذي هو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما، يعادل في المقاييس المعاصرة - كما ذهب إليه جمهور الفقهاء - 544غرام، وحجمه 688(96)، فلو فرضنا أن المسلم يتوضأ لكل صلاة بمقدار لتر واحد، فهذا يعني أنه يستهلك يوميا 5 لترات من الماء، ولكن أثبتت دراسة في عام 2007م أن إجمالي كمية المياه التي يستهلكها الفرد عملية الوضوء هو 26.85، بمتوسط 5.37 لتر للفرض الواحد(97).

فإذا كان الإسراف بالماء عند الوضوء منهي عنه، وهو من الأعمال المتصلة بأداء عبادة، فإن النهي قائم من باب أولى، بخصوص كل الاستعمالات المفرطة غير الرشيدة، في الزراعة والصناعة والأغراض المنزلية وغيرها، وهي من أعمال الدنيا(98).

المحور السابع: دور السنة النبوية في تنمية الاقتصاد المتنوع.

بمطالعة السنة النبوية الشريفة نجد أنه بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة وهجرة المسلمين إليها، ظهرت الحاجة الملحة إلى المال، فلما كان ذلك، عالج الرسول صلى الله عليه وسلم الضائقة بالمؤاخاة، وفكرة المؤاخاة ومنهجها ظل سابقة لأولي الأمر في تدويل المال بين المسلمين وإشراكهم فيه. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ المَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا

---

(83) فيض القدير، المناوي، (138/6).

(84) أخرجه مالك في الموطأ (635/3) رقم (1627). إسناده ضعيف للانقطاع بين يحي بن سعيد وأبي بكر رضي الله عنه. ونقل ابن الملقن عن أحمد أنه قال حديث منكر. البدر المنير (131/9).

(85) مفاتيح الغيب، الرازي، (283/14).

(86) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الاداب باب لا عدوى ولا طيرة (1743/4) رقم (2221).

(87) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، النووي، (217/14).

(88) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون، (130/7) رقم (5728).

(89) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (423/9).

(90) أخرجه أحمد في المسند (382/24) رقم (15616). إسناده ضعيف لضعف زبان بن فائد، ضعفه ابن معين وأحمد، وقال أبو حاتم: صالح. ميزان الاعتدال (65/2). وقال ابن القيسراني في أطراف الغرائب (300/4) غريب.

(91) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، (314/1)، وصححه ابن خزيمة (1292).

(92) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (343/2). إسناده ضعيف جدا، فيه محمد بن عبيد الله العزرمي. متروك. ينظر: الميزان (635/3).

(93) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (696/2).

(94) التنمية المستديمة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، غنيم وأبو زنط، عثمان وماجدة، (ص29).

(95) أخرجه البخاري كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، (201).

(96) الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، حلاق، محمد صبحي، (ص113) وما بعدها.

(97) المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لتر يوميا في الوضوء، إيمان الخطاف، 2007/3/22، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 10341.

(98) آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية. بكر عبد الله عواد (ص200).

حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ، وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ(99)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْيَمْ»(100). قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ «مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»(101).

وبتطوير هذه المحور من الناحية الشرعية المستقاة من السنة النبوية، فإن الاقتصاد الإسلامي عبارة عن مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تحكم النشاط الاقتصادي للدولة الإسلامية، والتي يمكن تطبيقها بما يتلائم مع ظروف الزمان والمكان، ويعالج الاقتصاد الإسلامي مشاكل المجتمع الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي للحياة(102).

يقوم تطوير الاقتصاد الإسلامي على مبادئ منها:

- «القياس»: ومن أمثلته قياس الأوراق النقدية المتداولة الآن: كالدراهم والريالات والجنيهات والدولارات على العملة النقدية الموجودة في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وهي الدينار الذهبي، والدرهم الفضي بجامع أن العلة واحدة، وهي التنمية(103).

- «سد الذرائع»: وهو منع الوسائل المباحة التي تؤدي إلى مفاسد(104).

- «العرف والقوانين والتشريعات»، وهي كل ما تعارف عليه الناس وألفوه حتى أصبح شائعًا، في حياتهم، فإذا كان هذا العرف شائعًا بين أهله ولم يُخالف نصًا شرعيًا، فإنه يكون معتبرًا إلا إذا صرح المتعاقدان على خلافه بالشروط. ومن الأمثلة على الأخذ بالعرف في الجانب الاقتصادي: نفقة الزوج على زوجته وأبناء، حيث يرجع في تحديد مقدار النفقة إلى العرف، الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [البقرة: 233]؛ كم النفقة؟ يُحددها العرف، النفقة على الزوجة وعلى الأولاد، فالأخذ بالعرف في الجانب الاقتصادي، إذًا العرف من مصادر النظام الاقتصادي الإسلامي(105).

- «التكافل اجتماعي» وهو أن يتساند المجتمع أفراده وجماعته، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، لا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، يبقى للفرد كيانه مميزاته، تبقى للجماعة هيئتها سيطرتها، يعيش الأفراد في كفالة الجماعة، جماعة أهل السنة، جماعة المسلمين مع ولي أمر يحكمهم. ويحث الإسلام على هذا التكافل الاجتماعي يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(106).

- «مراقبة السوق ولكن دون التدخل في تحديد السعر عن طريق بما يسمى المحتسب». وعن دور المراقبة يقول توفيق أزرق: «يخضع نظام الاقتصاد الإسلامي لرقابتين على حد سواء بشرية، وذاتية؛ فالرقابة البشرية رسمية تمارس من قبل الجهات الإشرافية في الدولة على الناس وعلى الأسواق لكيلا يكون هناك أي نوع من أنواع الغش والاحتكار. وجدت هذه الرقابة بعد الهجرة الكريمة فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان يراقب الأسواق بنفسه وعندما فتحت مكة أرسل إليها من يراقب أسواقها، ومن هنا ظهرت وظيفة المحتسب لمراقبة النشاط الاقتصادي»(107).

- «الشفافية» حض الإسلام على الشفافية من خلال منع رسول الله صلى الله عليه وسلم التجار من تلقي القوافل القادمة»منع تلقي الركبان»(108).

حماية الاقتصاد الإسلامي:

لأجل حماية الاقتصاد الإسلامي حرمت السنة النبوية كثيرًا من المعاملات التي تُؤثر عليه، ومنها:

- «تحريم الربا» الربا محرم في الإسلام. بنوعيه ربا الفضل وربا النسيئة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(109).

- «تحريم الاحتكار» وهو محرم بالأحاديث النبوية الشريفة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ»(110). والحكمة من ذلك لما فيه من الإضرار بمصالح العامة والاستغلال لحاجاتهم. وما يتسبب فيه من قهر للمحتاج، وربح فاحش للمحتكر.

- «تحريم الاتجار في القروض» القروض هي إحدى صور المال. فلا يجوز الاتجار به، إذ أن المال لا يباع ولا يشترى. عَنْ عُمَارَةَ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبًا»(111).

- «تحريم بيع ما لا يمتلكه الفرد» وذلك لمنع المخاطرة أو المقامرة. عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيُرِيدُ مِنِّي الْبَيْعَ لَيْسَ عِنْدِي أَفَأَبْتَاعُهُ لَهُ مِنَ السُّوقِ؟ فَقَالَ: «لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ»(112).

- «تحريم بيع الغرر» وبيع الغرر هو بيع غير المعلوم، مثل بيع السمك في الماء، أو أنواع المقامرة التي نراها منتشرة في مسابقات الفضائيات وشركات الهواتف، اتصل على رقم كذا لتربح أو أرسل رسالة لتربح. وهي كلها من صور المقامرة التي حرمها الله عز وجل. والدليل على ذلك أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «نَهَى عَنْ بَيْعِ حَبَلِ الحَبَلَةِ»، وَكَانَ بَيْعًا يَتَبَايَعُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ، كَانَ الرَّجُلُ يَبْتَاعُ الجَزُورَ إِلَى أَنْ تُنْتَجَ النَّاقَةُ، ثُمَّ تُنْتَجُ الَّتِي فِي بَطْنِهَا(113).

- «تحريم الاتجار في المحرمات» فلا يجوز التربح من ما حرّم الله عز وجل، من التجارة في الخمور أو المخدرات أو الدعارة أو المواد الإباحية المختلفة، وغيرها من المحرمات، لأنها لا تعتبر مالاً متقوماً في الإسلام. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ

---

(99) الوضر: اللطخ من خلوق أو طيب له لون، وكان ذلك من فعل العروس إذا بنى بأهله، ويكون الوضر من الصفرة والحمرة والطيب والزهومة. المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، كشف (235/3)، مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: وضر (120/6).

(100) مهيم ومعناه ما شأنك أو ما هذا وهي كلمة استفهام مبنية على السكون وهل هي بسيطة أو مركبة قولان لأهل اللغة. لسان العرب، لابن منظور، فصل الميم (565/12) وما بعدها.

(101) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار (3781).

(102) النظام الاقتصادي في الإسلام، لإبراهيم عبد الله المزروعي (ص2). مقالات شبكة بينونة للعلوم الشرعية.

(103) النظام الاقتصادي في الإسلام، لإبراهيم عبد الله المزروعي (ص3).

(104) النظام الاقتصادي في الإسلام، لإبراهيم عبد الله المزروعي (ص3).

(105) النظام الاقتصادي في الإسلام، لإبراهيم عبد الله المزروعي (ص3).

(106) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (13)، ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (45).

(107) الخصائص العامة للاقتصاد الإسلامي وأهم المبادئ التي تحكمه، (ص111)، توفيق أزرق، مجلة الدراسات الدينية، كلية العلوم الإسلامية في الشريعة، جامعة أنقرة، 2020م.

(108) سبق تخريجه.

(109) أخرجه البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: 10]. (2766)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها (89).

(110) أخرجه مسلم كتاب البيوع باب تحريم الاحتكار (1605).

(111) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (437). قال الصنعاني: «وإسناده ساقط لأن في إسناده سوار بن مصعب الهمداني المؤذن الأعمى وهو متروك». سبل السلام (74/2).

(112) أخرجه أبو داود كتاب البيوع باب في الرجل يبيع ما ليس عنده (3503)، والترمذي أبواب البيوع باب ما جاء في كراهية ما ليس عندك (1232)، والنسائي باب بيع ما ليس عند البائع (4613)، وابن ماجه كتاب البيوع باب النهي عن بيع ما ليس عندك (2187). إسناده صحيح، وصححه كذلك ابن الملقن في البدر (448/6).

(113) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب بيع الغرر وحبل الحبلة (2143)، ومسلم كتاب البيوع باب بطلان بيع الحصاة (1513).

عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ آخِرُ البَقَرَةِ «قَرَأَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فِي المِسْجِدِ، ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الخَمْرِ»(114).

- «تحريم بيع العينة» وهو شكل من أشكال التحايل على الربا، حيث يقوم الفرد بشراء شيء ما من شخص على أن يتم السداد بعد مدة، ثم يقوم ببيعها مرة أخرى إلى صاحبها بسعر أقل من الذي اشتراه به فيقبض الثمن، ثم يعود بعد المدة المتفق عليها ويقوم بدفع المبلغ الذي يكون أكثر من المبلغ الذي قبضه، فيكون هذا ظاهره بيع وباطنه ربا، فحرمه الإسلام جمهوراً، قال رَسُولَ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»(115).

الخاتمة:

أهم النتائج:

1. السنة النبوية لها الدور الريادي في الإصلاح المجتمعي عبر الأجندة الإصلاحية الواردة في الملخص التنفيذي لرؤية الكويت 2035.

2. الإصلاح المجتمعي عبارة عن «إزالة الفساد الذي يطرأ على الشيء، وإرجاعه إلى عادته بمجاورة الأجسام الصالحة بعضها إلى بعض، للوصول إلى الاعتدال والنفع للجميع».

3. لعبت السنة النبوية دورا رياديا في تنمية رأس المال البشري، حيث استخدم النبي صلى الله عليه وسلم شتى الوسائل والتقنيات لتطوير العملية التعليمية.

4. قامت السنة النبوية بدور كبير في تأسيس الإدارات الحكومية، وإصلاح الممارسات الإدارية، وذلك بإسناد الإدارات للأكفاء من الصحابة رضي الله عنهم.

5. عناية السنة النبوية بتعزيز وتنمية البنية التحتية، وكذا الرعاية الصحية.

6. وضع السنة النبوية عدة قوانين للتعامل مع الأسواق كتحريم الربا والنجش وتلقي الركبان، دليل على التفاعل مع الرؤية الإصلاحية في أجندة الكويت 2035.

7. حثت السنة النبوية على الجودة الشاملة في كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان.

8. عناية السنة النبوية بتنمية رأس المال البشري، وتطويره من خلال التدرج في التعليم، واستعمال وسائل الإيضاح وأشكالها المتعددة.

9. تنوع الاقتصاد الإسلامي يقوم على القياس، وسد الذرائع، والعرف والقوانين، والتشريعات.

10. قواعد تطوير الاقتصاد الإسلامي يقوم على أسس منها: المشاركة في المخاطر، وموارد الدولة، والاعتراف بالملكية الخاصة والعامة، والحرية الاقتصادية، والتكافل الاجتماعي.

11. حماية الاقتصاد في الإسلام يقوم على تحريم وتجريم ومحاربة كل ما يهدمه، كالربا، والاحتكار، والاتجار في القروض، والغرر، واستعمال المحرمات.

وأوصي بالاهتمام بهذه الجوانب، لأجل بناء مجتمع صالح على مستوى الفرد والجماعة.

الدعم المالي

البحث مدعوم من قطاع الأبحاث في (جامعة الكويت)، تحت مشروع رقم: HH04 / 23.

الإفصاح والتصريحات:

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلفون أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي(CC BY- NC 4.0) ، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:

https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

فهرس المصادر والمراجع:

ابن بطال، علي بن خلف. شرح صحيح البخاري. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد، 1423هـ - 2003م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. الاستذكار. تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000م.

ابن فارس، أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

أبو حبيب، سعدي. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً. ط2. دمشق: دار الفكر، 1408هـ - 1988م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

أبو الروس، محمد طلال. «دور رأس المال البشري في تجنيد الأموال في المؤسسات الأهلية العاملة في قطاع غزة». (رسالة جامعية أو بحث منشور - يُفضل استكمال بيانات جهة النشر).

أزرق، توفيق. «الخصائص العامة للاقتصاد الإسلامي وأهم المبادئ التي تحكمه». مجلة الدراسات الدينية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة أنقرة (2020م).

البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة، 1422هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م.

الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات. تحقيق: جماعة من العلماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م.

الجزيري، عبد الرحمن. الفقه على المذاهب الأربعة. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ - 1987م.

الخطابي، حمد بن محمد. معالم السنن. ط1. حلب: المطبعة العلمية، 1351هـ - 1932م.

الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ - 1999م.

السيوطي، جلال الدين. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. تحقيق: محمد إبراهيم عبادة. ط1. القاهرة: مكتبة الآداب، 1424هـ - 2004م.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.

---

(114) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب آكل الربا (2084)، ومسلم كتاب البيوع باب تحريم بيع الخمر (1580).

(115) أخرجه أبو داود كتاب البيوع باب في النهي عن العينة (3462). وقال أبو نعيم في الحلية (208/5) غريب من حديث عطاء، عن نافع، تفرد به حيوة، عن إسحاق.

العراقي، زين الدين عبد الرحيم. طرح التثريب في شرح التقريب. بيروت: دار إحياء التراث العربي (نسخة مصورة).

عيسى، خولة. الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية. العراق: بيت الحكمة.

القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكتاني، عبد الحي. التراتيب الإدارية. تحقيق: عبد الله الخالد. ط2. بيروت: دار الأرقم.

كرمى، أحمد عجاج. الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم. ط1. القاهرة: دار السلام، 1427هـ.

الكفوي، أيوب بن موسى. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الميمان، بدرية بنت صالح. الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات – قراءة إسلامية. (يُرجى إضافة دار النشر أو المجلة إن وجدت).

المناوي، زين الدين. التوقيف على مهمات التعاريف. ط1. القاهرة: عالم الكتب، 1410هـ – 1990م.

النسائي، أحمد بن شعيب. المجتبى من السنن (السنن الصغرى). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406هـ – 1986م.

الهروي، علي بن سلطان (الملا علي قاري). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط1. بيروت: دار الفكر، 1422هـ – 2002م.

مختار عمر، أحمد. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. القاهرة: عالم الكتب، 1429هـ – 2008م.

جريدة القبس الكويتية. «رفع مستوى معيشة المواطنين في حدود القانون». 10 ديسمبر 2019م.

List of Sources and References:

Abn ‘Ebd Albr. Alastdkar. Edited by Salm Mhmd ‘Eta and Mhmd ‘Ely M’ewd. 1st ed. Beirut: Dar Alktb Al’elmyh, 2000.

Abn Btal. Shrh Shyh Albkhara. Edited by Abw Tmym Yasr bn Ebrahym. 2nd ed. Riyadh: Mktbh Alrshd, 2003.

Abn Fars. M’ejm Mqayys Allghh. Edited by ‘Ebd Alslam Mhmd Harwn. Dar Alfkr, 1979.

Abn Majh. Snn Abn Majh. Edited by Mhmd F’ead ‘Ebd Albaqy. Dar Ehya’ Alktb Al’erbyh - Fysl ‘Eysa Albaby Alhlby.

Abw Dawd. Snn Aby Dawd. Edited by Mhmd Mhyy Aldyn ‘Ebd Alhmyd. Sidon-Beirut: Almktbh Al’esryh.

Abw Alrws, Mhmd Tlal. Dwr Ras Almal Albshry fy Tjnyd Alamw al fy Alm’essat Alahlyh Al’eamlh fy Qta’e Ghzh.

Alasqlany, Ahmd bn ‘Ely bn Hjr. Fth Albary. Beirut: Dar Alm’erfh, 1379h.

Alazrq, Twfyq. “Alkhsa’es Al’eamh Llaqtsad Aleslamy Wahm Almbad’e Alty Thkmh.” Mjlh Aldrasat Aldynyh, Jam’eh Anqrh, 2020.

Albkhary. Aljam’e Almsnd Alshyh Almkhtsr (Shyh Albkhary). Edited by Mhmd Zhyr bn Nasr Alnasr. 1st ed. Dar Twq Alnjah, 1422h.

Alhrwy. Mrqah Almfatyh Shrh Mshkah Almsabyh. 1st ed. Beirut: Dar Alfkr, 2002.

Al’eraqy. Trh Altthryb fy Shrh Altqryb. Dar Ehya’ Altrath Al’erby.

Aljzyry. Alfqh ‘ela Almdahb Alarb’eh. 2nd ed. Beirut: Dar Alktb Al’elmyh, 2003.

Aljwhry. Alshah Taj Allghh wShah Al’erbyh. Edited by Ahmd ‘Ebd Alghfwr ‘Etar. 4th ed. Beirut: Dar Al’elm Llmlayyn, 1407h.

Aljrjany. Alt’eryfat. Edited by Researchers under Publisher supervision. 1st ed. Beirut: Dar Alktb Al’elmyh, 1983.

Alkfwy. Alklyat M’ejm fy Almstlhat Walfrwq Allghwyh. Edited by ‘Ednan Drwysh and Mhmd Almsry. Beirut: M’essh Alrsalh.

Alktany. Altratyb Aledaryh. Edited by ‘Ebd Allah Alkhald. 2nd ed. Beirut: Dar Alarqm.

Alkhtaby. M’ealm Alsnn. 1st ed. Aleppo: Almtb’eh Al’elmyh, 1932.

Almnyan, Bdryh bnt Salh. Aljwdh Alshamlh fy Alt’elym Al’eam: Almfhwm Walmbad’e Walmttlbat - Qra’h Eslamyh.

Almnawy. Altwqyf ‘ela Mhmat Alt’earyf. 1st ed. Cairo: ‘Ealm Alktb, 1990.

Alnsa’ey. Almjtba mn Alsnn (Alsnn Alsghra). Edited by ‘Ebd Alftah Abw Ghdh. 2nd ed. Aleppo: Mktb Almtbw’eat Aleslamyh, 1986.

Alqbs Alkwytyh (Newspaper). “Rf’e Mstwa M’eyshh Almwatnyn fy Hdwd Alqanwn.” December 10, 2019.

Alrazy. Mkhtar Alshah. Edited by Ywsf Alshykh Mhmd. 5th ed. Beirut: Almktbh Al’esryh, 1999.

Alsywty. M’ejm Mqalyd Al’elwm fy Alhdwd Walrswm. Edited by Mhmd Ebrahym ‘Ebadh. 1st ed. Cairo: Mktbh Aladab, 2004.

Altbry. Jam’e Albyan fy Tawyl Alqran. Edited by Ahmd Mhmd Shakr. 1st ed. M’essh Alrsalh, 2000.

Altrmdy. Snn Altrmdy. Edited by Ahmd Mhmd Shakr et al. 2nd ed. Egypt: Mustafa Albaby Alhlby, 1975.

‘Emr, Ahmd Mkhtar ‘Ebd Alhmyd. M’ejm Allghh Al’erbyh Alm’easrh. 1st ed. ‘Ealm Alktb, 2008.

‘Eysa, Khwlh. Alrqabh Aledaryh Walmalyh fy Aldwlh Al’erbyh Aleslamyh. Iraq: Byt Alhkmh.

Krma, Ahmd ‘Ejaj. Aledarh fy ‘Esr Alrswl (Sla Allah ‘Elyh Walh Wslm). 1st ed. Cairo: Dar Alslam, 1427h.

Mslm bn Alhjaj. Almsnd Alshyh Almkhtsr. Edited by Mhmd F’ead ‘Ebd Albaqy. Beirut: Dar Ehya’ Altrath Al’erby.

S’edy Abw Hbyb. Alqamws Alfqhy Lghh Wastlaha. 2nd ed. Damascus: Dar Alfkr, 1988.